

ببغاوات وصنوج

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

من سمع أو قرأ الخطابات الرنانة العكاظية التي أُلقيت في الذكرى العاشرة لتوقيع "فرمان الطائف" لا بد وأنه كفر بالزمن الأخير الذي أوصل هذه المجموعة من السياسيين المارقين إلى سدة الحكم في لبنان. فأقل ما يمكن أن يقال في نهجهم الوطني أنه طرودي وتزلفي ومجرد من كل مصداقية، كما أنهم وبامتياز تحولوا إلى ببغاوات وصنوج تردد برتابة مملة ومقززة أصوات أسيادهم الطامعين بإلغاء لبنان الكيان والهوية والتاريخ. إن "فرمان الطائف" وكما يعرف القاصي والداني فُرضَ على لبنان وشعبه وحكومته الشرعية بقوة السلاح السوري وبمباركة أميركية إسرائيلية مشتركة، كما أنه لم يكن للبنانيين، كل اللبنانيين أي مشاركة أو رأي فيه، ومن يدعى غير ذلك، فهو يوهم نفسه ويتجنى على الحقيقة، والتاريخ لن يرحمه، إضافةً إلى أن "الاتفاق الفرمان" هذا لم ينهي حرب الآخرين علينا، ومن كان معه هو اليوم إما معارض له وإما مشكك فيه، في حين من كان ضده ازداد اقتناعاً بصوابية موقفه الرافض وبمشروعية هذا الرفض.

إن ما سُمي زوراً "باتفاق الطائف" ليس فيه من معاني "الاتفاق" سوى اتفاق الغير على اللبنانيين جميعاً، فهو الأداة التي استعملت لتدجين الشعب واستعمار وطنه وضمه لكوكبة دول منطقة الشرق الأوسط الدكتاتورية الرجعية التي تُعامل شعوبها كقطعان الغنم، وتحديداً العربية منها. أما الكذبة الكبرى التي تُنسب للفرمان فهي أنه أنصف بعض الشرائح اللبنانية ووزع السلطات بينها ووضع الأسس الصحية لإلغاء الطائفية، فيما الواقع عكس ذلك تماماً لأن الفرمان رسخ الطائفية وخطط الحابل بالنابل وجرّد الجميع من سلطاتهم وجبرها للمحتل الذي أصبح محجاً لفض الاشتباكات وبيضة الميزان التي ترجح كفة من هو أكثر خنوعاً ومطواعية وتذلاً له. إن الطائف كان إتفاق الغير على لبنان للنيل من كرامة جميع اللبنانيين دون تفرقة، ومن منا لا يتذكر قول مندوب اللجنة العربية الأخضر الإبراهيمي للرئيس ميشال عون وهو يحاول إقناعه قبول الاتفاق: "إن ما كُتِبَ قد كُتِبَ، ولا يحق لكم حذف أو إضافة فاصلة"، وكلام أهل الطائف أنفسهم من أمثال الهرابي والمر ومنصور عن عدم صلاحيته كدستور للبلاد دليل صارخ على وطنية وبُعد نظر من عارضوه.

إما أكبر كذبة نسبت لهذا الفرمان وأهانت ذكاء اللبنانيين جميعاً، فهي الإدعاء أنه أوقف الحرب ووضع البلد على سكة السلام الأهلي. إن الحرب اللبنانية وباعتراف أبرز مؤيدي الطائف ومنهم السيد الهرابي كانت حرب الآخرين على لبنان، وبالتالي فإن الطائف لم

يوقف الحرب ولم يضع لبنان على سكة السلام الأهلي، وإنما الذي أوقفها فهو الذي كان أصلاً أشعلها وذكى استمرارها حتى تم له ما أراد وهيمن على البلد وعلى حكمه بالكامل، وما حصل خلال العشرة سنوات الماضية شهادة حية ودامغة لهذه الحقيقة.

إن كان من حسنة وحيدة للطائف فإنه ساوى بين اللبنانيين جميعاً في معاناة الظلم والإفقار والهجرة والتهجير والإهانة، فأمسوا كلهم محرومين بعد أن كان بعضهم فقط يعاني الحرمان، وأصبح بلدهم موطناً لغيرهم، وتحولوا هم فيه إلى غرباء يتحكم بمصيرهم طاقم من الحكام الفاسدين والمفسدين تحت مظلة محتل يدعي أخوتهم فيما هو بالواقع يعمل على إلغاء بلدهم ونحر هويتهم واستعبادهم.

أما الظاهرة الأخرى التي جاءت مع الطائف وتطورت بشكل لافت منذ هرطقة تعيين العماد لحود رئيساً للجمهورية، فظاهرة ازدياد تفشي أوبئة التزلف والتبعية والنكران للذات "والهوية" بشكل جماعي، وهي ظاهرة سرطانية ووبائية تطرح على كل متتبع للوضع اللبناني الأسئلة البديهية التالية: إلى أين يتجه لبنان كدولة وكيان وهوية في ظل هذه القيادة المغربة عن لبنانياتها والتي إن نطقت فلتبجيل بالمحتل وبأفضاله وبحكمة قادته، علماً أنها تخلت وعلناً عن كل المسلمات الوطنية؟ هل المطبلون والمزمررون والمنبطحون يمثلون فعلاً المواطن اللبناني الحر، المقهور والمعذب والمضطهد في هويته وجذوره ولقمة عيشه وشرفه وكرامته وعرضه وأمنه وحرية؟ إن طاقم الحكم في بيروت يتصرف كالنعامة تماماً وهو دون خجل تعامى عن واقع الاحتلال المزدوج للبلد وأقام الدنيا ولم يقدها بعد محتفلاً على الطريقة العكاظية بذكرى الاستقلال والطائف معاً، فيما إسرائيل تستعد لالتسحاب من الجنوب والبقاع الغربي، وسوريا ممسكة بالقرار اللبناني وتستعمله للحفاظ على مصالحها وتنفيذ مخططاتها وفي مقدمها إظهار الشعب اللبناني بالقاصر والعاجز عن حكم نفسه تبريراً لاستمرار هيمنتها على حكمه واحتلالها لأرضه.

يبقى أن اليأس في قاموس المؤمنين بلبنان السيد الحر جريمة، كما أن التصدي للهجمة الشرسة واجب وطني يحتاج لقدر كبير من الثقة بأحقية قضيتنا العادلة، في حين أن المجاهرة برفض الأمر الواقع بكافة صوره وتشعباته ضرورة وطنية كالصلاة تماماً للمحافظة على هوية الوطن المميزة وعلى كيانه وسيادته ونظامه الحر الديمقراطي.

إن غيوم التضليل والضلال التي أعمت الأبصار ستنتشع قريباً وقريباً جداً، وإن غداً لناظره قريب، ولبنان الوطن المقدس، وطن ال ١٠٤٥٢ كلم مربع هو لشعبه الغني العظيم وليس لأي شعب آخر، مهما ازدادت الضغوط والضلالية، ومهما زاد قهر وإفقار وتهجير وتيئيس واضطهاد اللبناني، ومن له آذان فليسمع.